العمل الإجتماعي التطوعي

ودوره في تعزيز التضامن الإجتماعي

* د. حميد كردي الفلاحي

المقـــدمـــــة:-

لقد أضطلعت الجهود التطوعية بدور مهم وبارز في التعريف بمبادئ الخدمة الإجتماعية وإثارة الوعي حولها، فقد كانت هذه الجهود تسبق دائما جهود الدولة في خدمة المجتمع وتحسين ظروفه.

وعلى الرغم من التطور الحاصل في مجال مهنة الخدمة الإجتماعية فأنه مازال للجهود التطوعية أثرها وأهميتها على كافة مستويات العمل الاجتماعي [1].

والجهود التطوعية قديمة وراسخة في مجتمعنا العربي والإسلامي تمثلت بعدة جوانب: فمنها التكافل الإجتماعي والتعاون في مختلف الأزمات والمناسبات وإنشاء المؤسسات الدينية والصحية والإجتماعية.

وفي وقتنا الحاضر أصبح العمل الاجتماعي التطوعي الدعامة الأساسية للمشاركة الأهلية التي تتطلبها أية جهود تنموية تتوجه الى الانسان ومن أجل الإنسان.

وخاصة اذا ما عرفنا أن هذا العمل لايعد ظاهرة جديدة على مجتمعنا العربي والإسلامي بشكل عام والمجتمع العراقي بشكل خاص. فقد وقت مبكر وتحت أشكال وأنماط متعددة أقتضته ظروف الحياة وأقتضته معاناة الظروف الصعبة التي مرت على المجتمع فكان التضامن والتكافل الإجتماعي الذي دعت أليه قيم ومبادئ ديننا الإسلامي الحنيف ورسخته قيمنا العربية الأصيلة. وقد أصبح هذا التضامن أطارا أجتماعيا تشكل من خلال نسيج من الأعراف والتقاليد الإجتماعية.

ومن خلال هذا الأطار ساندت الجماعات الأجتماعية بعضها بعضا في مختلف الأزمات والكوارث وتنادى أفراد المجتمع متعاضدين في وجه ما كان يهدد أمنهم ووجودهم الإجتماعي [2].

أستاذ مساعد في قسم الخدمة الإجتماعية/ كلية الآداب / جامعة الموصل.

أن المتغيرات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي فرضتها الحياة المعاصرة أستوجبت تدخل الدولة في شؤون المجتمع وحتمت عليها تقديم اوسع الخدمات الأجتماعية للمواطنين وبهذا شهد العمل الاجتماعي التطوعي نقلة نوعية من صيغته وأنماطه التقليدية السابقة الى جمعيات ومؤسسات أجتماعية حديثة تؤدي وظائف ومهام تتناسب وحجم الأجتياجات المتزايدة التي تطلبتها ظروف تنمية المجتمع المستجدة [٣].

وفي وقتنا الحاضر ونتيجة للظروف الصعبة التي يمر بها بلدنا العزيز والمتمثلة بالحرب التي قادتها أمريكا وحلفاؤها من الغرب والحصار الاقتصادي الجائر على شعبنا اللذين يستهدفان النيل من وحدة العراق وأمنه وغستقلاله. يحتم علينا جميعا أن نوحد الصفوف وتتكاتف لتمزق الحصار ونفشل ما يمكنه الأعداء من دسائس وخطط عدوانية. ومن جانب آخر فالتنمية الإجتماعية وفي كل المجتمعات لا يمكن أن تعتمد على الجهود التي تبذلها الدولة فقط وإنما يجب أن تتظافر الجهود على صعيدي الدولة والمواطنين. ولهذه الإعتبارات أرتأينا البحث في موضوع العمل الإجتماعي التطوعي إيمانا منا أن لهذه الجهود دورا فعالا في تعزيز التضامن الإجتماعي في وقتنا الحاضر وقد هدفنا من وراء هذا البحث تحقيق ما يأتي:-

١ ـ القاء الضوء على طبيعة العمل الإجتماعي التطوعي في العراق ومسوغات قيامه.

٢ ـ التوصل الى بعض المقترحات لتنشيط هذا العمل وزيادة فاعليته في وقتنا الحاضر.

المبحث الأول

التحديد العلمي للمفاهيم الأساسية في البحث

سنتناول في هذا البحث تحيد أربعة مفاهيم أساسية أستخدمت في البحث وهي: العمل الأجتماعي التوطعي، المشاركة الشعبية، التعاون، التضامن الإجتماعي.

١ ـ العمل الإجتماعي التطوعي:ـ

يعد العمل الإجتماعي أحدى عمليات الخدمة الإجتماعية، فمن المعروف أن هناك ثلاثة طرق تقليدية في الخدمة الإجتماعية العمل مع الأفراد والعمل مع الجماعات والعمل مع المجتمع، أن هذه الطرق الثلاثة تعمل على مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات على النمو والتكيف في حدود الإمكانات التي وفرتها لها البيئة، وبمعنى آخران الخدمة الإجتماعية تساعد المواطنين عموما على التأقلم مع الظروف المحيطة [٤].

فضلا عن المجالات المذكورة آنفا والتي تعمل فيها مهنة الخدمة الإجتماعية فهذه المهنة تهتم بالعمل الإجتماعي في وقتنا الحاضر يهتم بجوانب رئيسية ثلاثة هي الرعاية الإجتماعية والإصلاح الإجتماعي والعمل والضمان الإجتماعي، وتعريفنا للعمل الإجتماعي هو ((العملية التي بها تحسين الأوضاع الإجتماعية في أي مجتمع عن طريق تعديل السياسة الإجتماعية والتركيب الإجتماعي في الدولة والحصول على برامج وخدمات حكومية جديدة. على أن تتم هذه العملية في حدود النظم والقوانين المرعية في الدولة)) [٥].

أما المقصود بالعمل الإجتماعي التطوعي فهو ((ذلك النشاط الإجتماعي والإقتصادي الذي يقوم به الأفراد الممثلون في الهيئات والمؤسسات والتجمعات الأهلية ذات النفع العام دون عائد مادي مباشر للقائمين عليه وذلك بهدف إزالة أو تقليل حجم المشكلات المعوقة لمسيرة التنمية وتهيئة الأفراد أنفسهم لمواجهة هذه المشكلات والمساهمة في حلها[٦].

٢ ـ المشاركة الشعبيـــة:ـ

أنتشر مصطلح المشاركة الشعبية بين المخططين وعلماء الأجتماع والإقتصاد والسياسة وهذا المفهوم يعني المشاركة في النواحي الإجتماعية والإقتصادية والسياسية لأبناء المجتمع وتعني المشاركة بمفهومها العام عند (هوبهاوس) المساهمة في تبادل الخدمات وتنظيم الصلات بحيث يكون قادرا على المشاركة والمساهمة في تحقيق متطلبات التنمية (٧).

ويشير روس (Ross) الى المشاركة على أنها تعني إتاحة الفرصة لسكان المجتمع للأسهام أو المشاركة في وضع الأهداف العامة في المجتمع وفي التخطيط لتحقيق تلك الأهداف.

وأن هذا الأشراك في عمليات تغيير المجتمع كفيل بتغيير أنفسهم لأن الناس عندما يشتركون معا متعاونين في تحديد الأهداف والتخطيط والتنفيذ يعدلون من أتجاهاتهم وتزداد قدراتهم ويكتسبون مهارات جديدة (٨)، وتتجلى أهمية المشاركة الشعبية في التنمية من خلال ما يأتي (٩) :ـ

١ ـ المشاركة مبدأ أساسي من مبادئ التنمية، فالتنمية الحقيقية لاتتم بدون مشاركة شعبية.

٢ ـ من خلال المشاركة يتعلم المواطنون كيف يحلون مشكلاتهم، فالمشاركة تزيد من الوعي الإجتماعي للشعب.

٣ ـ توفير الجهد الحكومي لما هو أهم من المسؤوليات الكبرى على المستوى القومي وتقليص نفقات الدولة.

٤ ـ مساهمة الجهود التطوعية من خلال المشاركة الشعبية يعمل على تحقيق الديمقراطية.

٥ ـ المشاركة الشعبية من خلال الهيئات والمجالس المحلية يمكن أن تقوم بدور الرقابة والضبط.

وقد حدد بعض الباحثين مجموعة من الدوافع التي تقف وراء المشاركة الشعبية في التنمية ومن بين هذه الدوافع هي (١٠) :ـ

١ ـ العمل من أجل المصلحة العامة.

٢ ـ حب العمل مع الآخرين.

٣ ـ الرغبة في كسب شعبية بين المواطنين.

٤ ـ الحصول على مركز في الجمعيات أو الهيئات أو الحزب.

٥ ـ كسب وتقدير وأحترام الآخرين.

٦ ـ مزاملة الأصدقاء.

٧ ـ تحقيق مصالح مادية.

٨ ـ العمل على تحقيق حاجات أنسانية من بينها الحاجة الى الأنتماء والحاجة الى المركز والحاجة الى التقدير والحاجة الى تحقيق الذات.

٣ ـ التعـــــــاون:ـ

التعاون ظاهرة إجتماعية عرفتها كل المجتمعات وعلى مر العصور فالتعاون يعد نوعا من التحدي يهتدي اليه الأفراد والجماعات لمواجهة المشاكل الإجتماعية [١١]. ولد التعاون مع ولادة المجتمع البشري نتيجة لحاجة الفرد الى الجماعة، فمهما حاول الفرد العمل بأنفراد فأنه يجد نفسه مشتركا مع الآخرين في عمل ما، لأنه مهما كانت قناعته بالحياة فأنه لايلبث أن يجد نفسه بحاجة الى ثلاثة أمور على الأقل معاون له رد غارات الغازي، ومؤنس في حالة الوحشية، ومغيث في حالة العجز الناجم عن مرض أو شيخوخة [١٢].

وقد دعت الأديان السماوية الى التعاون وحثت على المحبة والألفة بين البشر فقد جاء في القرآن الكريم " وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعانوا على الأثم والعدوان " [١٣]. وجاء في الحديث الشريف " الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه " ، " خير الناس من نفع الناس " "يد الله مع الجماعة ".

ومفهومنا للتعاون في هذا البحث هو(أحد مظاهر التفاعل الإجتماعي ونمط من أنماط السلوك الإنساني وعملية التعاون هي التعبير المشترك لشخص أو أكثر في محاولة لتحقيق هدف مشترك والتعاون قد يكون مباشرا أي التعاون على القيام بأنشطة مترابطة ومتشابهة في صورة جماعية أوغير مباشر أي التعاون الذي يقوم على إنجاز أنشطة غير متشابهة تكمل بعضها البعض وهي تؤدي جميعا هدفا مشتركا) [١٤].

٤ ـ التضـــــامن الإجتماعـــي:-

يبدو لنا أنه ليس هناك معنى واضح ومتفق عليه بين الباحثين لمصطلح التضامن الإجتماعي، غير أنه يستعمل في وصف الحالات التي يرتبط بها الإفراد وأحدهم بالأخر بروابط إجتماعية وحضارية مشتركة، ويستعمل هذا المصطلح عادة في تفسير أسلوب تماسك أفراد الجماعات الصغيرة فيما بينها بدافع المصالح أو الأهداف المشتركة [١٥].

ويعد عالم الإجتماع الفرنسي (أميل دور كايم) من العلماء الدين وصف التضامن الإجتماعي في دراسته عن تقسيم العمل، حيث فصل نوعين من التركيبات الإجتماعية فالنوع الأول يقوم على التضامن الميكانيكي Solidarite mecanique .

الذي يعتمد على التشابه في النيات وعلى التوافق في العواطف والأفكار والعقائد ونماذج الشلوك وفي هذا الإطار نجد أن أي شذوذ فردي يعرض وحدة الجماعة للخطر وعلى العكس من ذلك فأنه مع تطور المجتمع يتسع نظام تقسيم العمل وتتباين المهام الوظيفية كما تتباين الأدوار والمركز الإجتماعية وهنا يقوم نوع آخر من التضامن الإجتماعي هو التضامن العضوي.

الذي يقوم على التباين المؤدي الى التكامل ويشبه المجتمع في هذه الحالة الكائن العضوي الذي تتباين اجزاؤه تشريحيا ووظيفيا وتتكامل حيويا وحياتيا [١٦].

ان تماسك وتضامن أية وحدة إجتماعية يمكن أن يرجع الى عدة عوامل من بينها هو:

الولاء لوحدة اجتماعية أكبر(عشيرة، قبيلة، الوطن) والمصالح المتبادلة بين أعضاء تلك الوحدة. والولاء لوحدة إجتماعية أكبر يمكن أن يقوم على أساس المواجهة ضد جماعة خارجية. فالتهديد الخارجي المستمر يساعد في خلق الروابط بين الوحدات الإجتماعية داخل كل مجتمع ومن بعد يؤلف شرائحه وقومياته ضد العدوان الأمريكي الصهيوني، فلولا هذا التضامن كيف يمكننا أن نفسر صمود العراق بوجه أكثر من ثلاثة و ثلاثين دولة متعدية وحصار أقتصادي جائر مازال مستمرا.

والولاء لوحدة إجتماعية أكبر هي (الوطن) يمكن أن يستمر اذا كانت هناك مجموعة من القيم والمبادئ التي تسهل عملية التفاعل الإجتماعي وكذلك وجود عدد من العناصر الثقافية كالدين والأخلاق وغيرها [١٧].

المبحـــث الثانـــي

مسوغات الإهتمام بالعمل الإجتماعي التطوعي

في البداية لابد من الطرح الأسئلة الآتية: لماذا العمل الإجتماعي التطوعي؟ وما هي مسوغات الإهتمام بالجهود التطوعية في وقتنا الحاضر؟ للأجابـة عن هذه الأسئلة نذكر الحقائق الآتية:-

١ ـ يحتاج كل من مجتمع الى أعضاء على مستوى عالي في الإلتزام بالمشاركة التطوعية في شؤون هذا المجتمع وخاصة عندما يتعرض الى بعض الأزمات والكوارث، والمقياس الأول لتقدم كل مجتمع هو التطوع الذاتي من قبل الأفراد والجماعات.

٢ ـ مرونة العمل وسرعة الأداء:-

تتميز الجهود التطوعية بكونها قادرة على التحرك في أية أتجاه، للمرونة التي تتصف بها. وذلك لما تملكه هذه الجهود من طاقات علمية ومادية يمكن الأستفادة منها في ميادين الخدمة الإجتماعية كافة.

٣ ـ مساندة الأنفاق الحكومي:-

من البديهي ان تزايد أعباء الدولة السياسية والعسكرية خلال الظروف الصعبة التي تمر بها (كالحروب مثلا) وتقتضي الحاجة في مثل هذه الظروف تعبئة كافة الموارد المادية والبشرية لخدمة المجهود الحربي. وتبرز هنا أهمية الجهود التطوعية في هذا الميدان في مساندة الدولة في توفير وتقليل النفقات وخير مثال على ذلك قيام المنظمات المهنية والحزبية في العراق بحملات التبرع بالمال والذهب لدعم قادسية صدام المجيدة والحملات التي تقودها الآن في ظل الحصار الإقتصادي للدعوى الى ترشيد الأستهلاك وزيادة الأنتاج والأعتماد على الموارد الذاتية من أجل كسر هذا الحصار.

٤ ـ تعمير المجتمعات التي تعرضت للتخريب والتدمير:-

تتعرض المجتمعات في أثناء الحروب لكوارث ونكبات ينتج عنها تشريد آلاف الناس وحرمانهم من المأوى وتدمير مرتكزات التنمية الإقتصادية فضلا عن الضحايا والمعوقين بين سكان المدنيين.

صحيح أن مسؤولية أزالة آثار العدوان هي مسؤولية الدولة بالدرجة الأساسية ولكن تلك المسؤولية لاتعني أفراد المجتمع من المشاركة في تلك الجهود. فالمشاركة هنا لها قيمتها العليا فهي تعبير عن التكامل الإجتماعي الإيجابي بين افراد المجتمع، وتجدر الإشارة الى الجهود التي تبذلها الدولة في إعادة أعمار ما دمره الأعداء في حربي قادسية صدام وأم المعارك.

وهنا يمكن الأستفادة من الجهود التطوعية في حملات أعادة الأعمار وتنظيم حملات العمل الشعبي.

٥ ـ المساهمة في عملية الأيواء :-

قد يتعرض بعض السكان المدنيين الى أخطار جسيمة خلال الحرب، تتمثل بتعرضهم للقصف الجوي والمدفعي من قبل العدو. مما يعرض حياتهم للخطر. ويترتب على ذلك نزوح أعداد كبيرة منهم الى أماكن بعيدة عن الخطر. مما يعرض هؤلاء السكان الى مشكلات عديدة، وهنا يأتي دور الجهود التطوعية من قبل الأهالي في مساعدة السكان النازحين في التغلب على الظروف الصعبة وتوفير المأوى والطعام والخدمات الأخرى، ونذكر هنا على سبيل المثال ما قام به أهالي مدنيتي بعقوبة والفلوجة من جهود في ايواء السكان المدنيين النازحين من مدينة بغداد في أثناء فترة أم المعارك.

٦ ـ الرعايـة الأسريـــة:-

يشتمل هذا المجال الخدمات التوجيهية والأرشادية لعلاج المشكلات الأسرية ويقوم المتطوعون من خلال الجمعيات الأسرية بالعمل على رعاية الطفولة سواء في دور

الحضانة أو في المؤسسات الايوائية. وفضلا عن ذلك فالجهود التطوعية تهدف الى توثيق الصلات والروابط الأسرية السليمة. كما يقوم المتطوعون من خلال جمعيات رعاية الشيخوخة تقديم الخدمات الى فئات كبار السن فاقدى الرعاية الأسرية.

كذلك فأنه قد يتعرض بعض الأفراد في المجتمع في أثناء عملية التغير الأجتماعي والحضاري الى فقدان الدعم الأسرى الذي كانت تتحه النظم الأسرية التقليدية قبل تفككها بفعل عمليات التعليم والتحضر والتصنيع وخروج المرأة للعمل وحصولها على مركز أقتصادي مما يجعل الحاجة للتنظيمات التطوعية في مثل هذه المجتمعات ضرورة لابد منها.

فهذا الأنقسام والتعقيب في الحياة من شأنه أن يشجع كل فئة متجانسة على تكوين تنظيم معين (نقابي أو أجتماعي) للدفاع عن حقوق أبنائها ويكفل لهم الأمن والعون المتبادل. ويعتقد (جاى روشر) أن التنظيمات التطوعية تزدهر في الدول النامية مع عمليات التحول والتنمية الأقتصادية والتحديث الحضاري [١٨]. ويذهب روشر الى أن بعض من هذه التنظيمات قد ظهرت داخل الدول النامية تحت تأثير الأوربيين وبعضها نشأ نتيجة ما أقتضته الظروف المحلية داخل كل مجتمع نام على حدة [١٩].

٧ ـ الدفـــاع الإجتماعـــي:-

من المعلوم ان الجهود الحكومية لاتستطيع لوحدها من تنفيذ برامج الدفاع والأمن الإجتماعي في المجتمع مالم تتضافر معها الجهود الأهلية، وفي هذا الجانب تساهم الجهود التطوعية في خلق المجتمع الأمن.

وقد يتم هذا من خلال الجهود التي تبذلها المنظمات الجماهيرية والحزبية لوقاية المجتمع من الأنحراف والجريمة، وتجدر الإشارة الى تجربة نواطير الشعب التي قامت بها التنظيمات الحزبية، وقد ساهمت هذه التجربة في توطيد الأمن والحد من أنتشار ظاهرة الجريمة في المجتمع وخصوصا جريمة سرقة السيارات والبيوت والمحلات التجارية.

٨ ـ الأمـــن الإقتصـــــادي:ـ

قد يساعد العمل الإجتماعي التطوعي من قبل الأفراد في المنظمات المهنية والحزبية الى توطين الأمن الإقتصادي ومساعدة الأجهزة لرسمية في مراقبة الأسعار وحالة السوق والمتلاعبين في قوت الشعب والأخبار عن المخالفات في هذا الجانب.

٩ ـ زيادة الوعي الإجتماعي والإقتصادي:ـ

لقد تأثر أقتصادنا تأثرا بالغا نتيجة للحربين التي خاضهما بلدنا للدفاع عن سيادته وأستغلاله وكرامته ونتيجة للحصار الظالم الذي فرضته القوى الأمبريالية والصهيونية على العراق، فضلا عن التآمر الذي تمارسه بعض الأنظمة العربية. وكان على شعبنا أن يتحمل الكثيرفي سبيل دعم الأقتصـاد الوطني ودعم مسيرة التنمية والأعمار والبناء التي قادها العراق كهجوم مضاد لكل ما يحيط به من موآمرات ، ومن هذا المنطلق تأتي أهمية الجهود التطوعية في زيادة وعي الناس في ترشيد الأستهلاك وتقليل النفقات ومضاعفة الجهود من أجل زيادة الأنتاج، وخير مثال على ذلك ما قامت به الأتحادات والمنظمات الجماهيرية في قطرنا من جهود كبيرة في هذا الجانب، وفضلا عن الوطن في نفوس المواطنين.

١٠ ـ تنمية المجتمعات المحلية، يساهم العمل الإجتماعي التطوعي بدور فعال في تنمية المجتمعات المحلية ويتمثل ذلك بالعمل على إثارة وعي الأهالي وزيادة مشاركتهم في التنمية من خلال دعم الجهود الحكومية الهادفة الى أحداث التغيرات الإجتماعية والإقتصادية والثقافية في واقع تلك المجتمعات. ومن أبرز تلك النشاطات التي يمكن للعمل الإجتماعي التطوعي النهوض بها والمشاركة في حملات محو الأمية وتطوير المرأة الريفية والأرشاد الزراعي وزيادة الوعي الصحي والإجتماعي لأبناء المجتمع الريفي. من كل ما تقدم يمكننا الأستنتاج بأن للجهود التطوعية في وقتنا الحاضر ما يبررها.

المبحـــث الثالـــث

واقع العمل الإجتماعي التطوعي في العراق

أولا:- لمحة تأريخية عن العمل الإجتماعي في العراق.

أن المتتبع لواقع العمل الإجتماعي في العراق يستطيع أن يميز أربع مراحل تأريخية تمثل السياق التأريخي لنشوء العمل الأجتماعي وهي [٢٠]:-

١ ـ مرحلة ما قبل سنة ١٩٥٢:-

بقي العمل الإجتماعي في العراق ولسنوات طويلة أكثر التصاقا بالجهود الأهلية التطوعية التي ظهرت منذ التكافل الإجتماعي الذي عززته ودعمته القيم الدينية والأخلاقية والقرابية السائدة في المجتمع.

فقد شهدت الأعوام ١٩١٢ ـ ١٩٤٨ نشاطا ملحوظا في تأسيس عدد من الجمعيات الدينية والخيرية والأرشادية وأهم هذه الجمعيات هي: جمعية التربية الإسلامية، جمعية سيدة النجاة الخيرية، الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية الرحمة الخيرية الكلدانية، جمعية الشباب المسلمين. الجمعية الخيرية للسريان الأرثودوكسي، جمعية الأدارة الإسلامية، جمعية أخوات الفقير، جمعية الصندوق الخيري الإسلامي، وجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية.

ظهرت في نهاية الأربعينات ظهرت أيضا بعض النشاطات الإجتماعية الهادفة الى رعاية الأحداث والمعوقين، حيث أنشأت أحدى الجمعيات الإسلامية ميتما تابعا لها أسمته الميتم الإسلامي وكذلك أقامت جمعية أخرى دارا للمتخلفين عقليا [٢١]. والملاحظ أن هذه الجمعيات أشرفت عليها ومولتها بعض الجمعيات الأهلية. وقد تأسس أول مركز أجتماعي في بغداد / تل محمد عام ١٩٤٩ وبمساعدة الجامعة العربية. وشهد عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ تأسيس أول قسم للخدمة الإجتماعية في كلية البنات ثم تأسست مديرية الخدمات الإجتماعية عام ١٩٥٢ في إطار وزارة العمل والشؤون الإجتماعية.

٢ ـ المرحلة الممتدة بين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨:-

شهدت هذه الفترة تخرج أول دفعة من الباحثات الإجتماعيات من فرع الخدمة الإجتماعية لكلية البنات وعددهن (٢٥) باحثة وفي هذه الفترة أيضا صدر قانون الضمان الإجتماعي رقم ٢٧ لسنة ١٩٥٦ وقد عهد بتنفيذ هذا القانون الى مديرية العمل والضمان الإجتماعي العامة. وقد صدر أيضا قانون المؤسسات الإجتماعية رقم ٤٢ لسنة ١٩٥٨.

٣ ـ المرحلة الممتدة من ١٩٥٨ لغاية ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨:-

تميزت هذه الفترة بضعف برامج العمل الإجتماعي وضعف حركة نشاط البحث الإجتماعي التي أستندت الى بعض الجهود الفردية من قبل بعض الباحثين. وتجدر الإشارة الى تأسيس كلية الآداب بجامعة بغداد وتأسيس قسم الإجتماع والخدمة الإجتماعية ١٩٦٤.

وقد تخرج من هذا القسم أعداد غير قليلة من الباحثين وقد تعين أغلبهم بوزارة العمل والشؤون الإجتماعية بوظيفة باحث إجتماعي.

٤ ـ المرحلة بعد ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨:-

تميزت هذه الفترة بوضوح أتجاهات العمل الإجتماعي، وذلك أن الأنجازات التي حققتها الثورة كان لها الأثر الواضح على المجتمع العراقي. كما شهدت هذه الفترة نموا متعاظما لأنشطة وزارة العمل والشؤون الإجتماعية في مجال الخدمات الأجتماعية.

كما تم تأسيس المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية عام ١٩٧٠ والذي كان له الدور الفعال في إجراء عدد كبير من الدراسات والبحوث الإجتماعية والجنائية. فضلا عن ذلك فقد أزداد عدد الخريجين من قسمي الإجتماع والخدمة مما أدى الى زيادة عدد العاملين في المراكز الإجتماعية.

من جانب آخر فقد شهدت هذه الفترة صدور عدد من التشريعات الإجتماعية المهمة كقانون الرعاية الإجتماعية رقم ١٢٦ لسنة ١٩٨٠ وقانون رعاية القاصرين رقم ٧٨ لسنة ١٩٨٠ وقانون المؤسسة العامة للأصلاح الإجتماعي رقم ١٠٤ لسنة ١٩٨١ وقانون

رعاية الأحداث رقم ٧٦ لسنة ١٩٨٣. وقد كان لهذه التشريعات الأثر الواضح في مسيرة العمل الإجتماعي وتوطيد دعائمه.

ثانيـــــا:- واقع العمل الإجتماعي التطوعي في العراق.

أن تأريخ العمل الإجتماعي التطوعي ليس حديث العهد وأنما يرجع الى عام ١٨٧٣، حيث تم تأسيس أول جمعية سميت ((أخوات المحبة)) وهي جمعية دينية خيرية أنحصر نشاطها في مساعدة الفقراء واليتامى والمشردين ورعاية المرضى، ثم تتابع وفي مطلع هذا القرن أنشاء الكثير من المؤسسات الخيرية ذات الصيغة الدينية كجمعية التربية الإسلامية والجمعية الخيرية الإسلامية عام ١٩١٢، ثم تتالت بعد ذلك نشوء العديد من الجمعيات المهنية والإجتماعية والعلمية والصحية [٢٢].

أن الحقيقة التي يمكن أستنتاجها من خلال أستعراضنا لواقع العمل الإجتماعي في العراق هي أن أنشطة الرعاية الإجتماعية تحولت ويصوره تدريجية من إطارها الأهلي التطوعي الى إطارها الرسمي الخاضع لتمويل الدولة وإشرافها وخصوصا بعد ثورة ١٧ – ٣٠ تموز ١٩٦٨.

فقد أنحسر دور الجمعيات الأهلية في ظل تنامي دور مؤسسات الرعاية والضمان والعمل الإجتماعي التابعة لوزارة العمل والشؤون الإجتماعية.

وعلى الرغم من أن السياسة الإجتماعية أصبحت بعد ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ من مسؤلية الدولة بالدرجة الأساسية ولكن هناك كثيرا من النشاطات الإجتماعية تضطلع بها المنظمات الجماهيرية والجمعيات العلمية والقطاع التعاوني [٢٣].

أن هذه النشاطات التي تقدمها المنظمات المهنية والشعبية والجمعيات العلمية تدعم وبدرجة كبيرة جهود الدولة في مجال السياسة الإجتماعية والعمل الإجتماعي. وتمارس هذه التنظيمات نشاطات لايمكن الأستهانة بها في مجال العمل الإجتماعي التطوعي وتعزيز التضامن الإجتماعي في المجتمع العراقي.

ومن أجل أعطاء صورة عن طبيعة التنظيمات التي تمارس العمل التطوعي في العراق حاولنا تصنيف المنظمات المعنية بهذا العمل الى ستة مجاميع [٢٤]:-

المجموعة الأولى:- الجمعيات الدينية : وعددها سبعة عشر جمعية وتضم:

١ - جمعية أخوات المحبة. ٢ - جمعية التربية الإسلامية. ٣ - جمعية سيدة النجاة الخيرية. ٤ - جمعية الرحمة الخيرية الكلدانية. ٥ - جمعية الشباب المسلمين. ٦ - الجمعية الخيرية للسريان الأرثوذوكسي. ٧ - جمعية الأدارة الإسلامية. ٨ - جمعية أخوات الفقير. ٩ - جمعية الصندوق الخيري الإسلامي. ١٠ - جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية. ١١ - جمعية الخيرية الأرمنية. ١٢ - جمعية الأخت المسلمة. ١٣ - منتدى المرأة المسلمة. ١٤ - جمعية الهدايا الإسلامية. ١٥ - جمعية الخيرية لمنتسبي السكك الحديدية. ١٦ - جمعية التوحيد.

المجموعة الثانية :- الجمعيات الإجتماعية وعددها ثمان وتضم:-

١ - جمعية مكافحة العلل الإجتماعية. ٢ -جمعية البر والرعاية الثقافية. ٣ - جمعية العربي. ٤ -جمعية حقوق الإنسان في العراق. ٥ - جمعية تنظيم الأسرة العراقية. ٦ - جمعية الصم والبكم. ٧ - جمعية بيوت الأمة. ٨ -

المجموعة الثالثة:- الجمعيات الصحية وتضم :-

١ - جمعية مكافحة التدرن. ٢ - جمعية مكافحة السرطان.

المجموعة الرابعة:- الجمعيات العلمية وتضم :-

١ -جمعية أطباء الأطفال العراقية. ٢ - جمعية أتحاد المكتبيين العراقية. ٣ - جمعية أطباء الأسنان العراقية. ٤ - جمعية أطباء التخدير والأنعاش العراقية. ٥ - جمعية أطباء الصدر والقلب العراقية. ٦ -جمعية أطباء العيون العراقية. ٧ - جمعية الأقتصاد بين العراقية. ٨ - جمعية التراثالعربي الإسلامي. ٩ -الجمعية الجغرافية العراقية. ١٠ -الجمعية الجيولوجية العراقية. ١١ -أتحاد الحقوقيين العراقيين. ١٢ -جمعية الخطاطين العراقية. ١٣ - الجمعية الصيدلانية العراقية. ١٤ -الجمعية الطبية البيطرية العراقية. ١٥ - الجمعية العراقية للعلوم السياسية. ١٦ - الجمعية العراقية للعلوم الإجتماعية. ١٧ - الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية. ١٨ - جمعية علوم الحياة. ١٩ - الجمعية العراقية للفيزياء والرياضيات. ٢٠ - جمعية القانون المقارن العراقية. ٢١ - الجمعية الكيمياوية العراقية. ٢٢ - جمعية المؤرخين والأثاريين في العراق. ٢٣ - جمعية الفنون والتراث.

المجموعة الخامسة:- الجمعيات المهنية وتضم:-

١ - الإتحاد العام لنقابات العمال. ٢ - الإتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية. ٣ - الإتحاد الوطني لطلبة العراق. ٤ - الإتحاد العام لشباب العراق. ٥ - الإتحاد العام لنساء العراق. ٦ - الإتحاد العام للتعاون. ٧ - نقابة المعلمين. ٨ - نقابة المهندسين. ٩ - نقابة الأطباء. ١٠ - نقابة المحامين. ١١ - نقابة الصحفيين. ١٢ - نقابة الفنانين. ١٣- نقابة المحاسبين القانونيين. ١٤ - نقابة المهندسين الزراعيين. ١٥ - نقابة الكيمياويين. ١٦ - نقابة الجيولوجيين.

المجموعة السادسة:- الجمعيات الإجتماعية الإنسانية وتضم جمعية الهلال الأحمر العراقية.

من خلال ما تقدم يمكن القول أنه على الرغم من أختلاف في نوعية الجمعيات في العراق فأن هذا لم يمنع من أن تشترك هذه الجمعيات في مجموعة من الأهداف العامة، تتمثل بما يأتي:-

١ ـ خدمة المجتمع وتقديم مختلف انواع الرعاية الإجتماعية للفئات المحتاجة.

٢ ـ تقديم المساعدات المالية والإجتماعية للأسر الفقيرة والمحتاجة.

٣ ـ مساعدة المعوقين عقليا وجسميا وكبار السن.

٤ ـ تقديم المساعدات للمرضى وتقديم العلاج لهم.

٥ ـ رعاية الطفولة والأهتمام بها من الناحية الصحية والثقافية والتعليمية.

٦ ـ بث الوعي الديني.

٧ ـ النهوض بالمرأة من الناحية الإجتماعية والثقافية.

٨ ـ الإهتمام بتطوير القدرات الفنية والعلمية للأعضاء.

٩ ـ إجراء الدراسات المتخصصة ذات العلاقة بخدمة المجتمع.

١٠ ـ عقد المؤتمرات والندوات العلمية ذات العلاقة بخدمة المجتمع.

المبحث الرابع

مقترح لتطوير العمل الإجتماعي التطوعي

لقد تناولنا في الصفحات السابقة مسوغات الإهتمام بالعمل الإجتماعي التطوعي ولمحة تأريخية سريعة لواقع هذا العمل والمنظمات التي كانت تديره، ومن كل ما تقدم تستطيع أن نستخلص ثلاث حقائق أساسية:-

الأولى:- أن الظروف الإجتماعية والسياسية السابقة قد أثرت بشكل سلبي في فاعلية وتطور العمل الإجتماعي التطوعي في العراق وهذا يعود في نظرنا الى تخلف السياسات الإجتماعية وضعف الأجهزة الرسمية المشرفة على هذا النوع من العمل.

الثانية:- لقد أصبح العمل الإجتماعي التطوعي في العراق مؤهلا أكثر من وقت مضى لأن يكون الدعامة الأساسية للمشاركة المجتمعية التي تتطلبها جهود التنمية.

الثالثة:- أن تنمية المجتمع وزيادة فاعلية التضامن الإجتماعي بين إفراده وشرائحه لايمكن أن تستحقف الا بمشاركة المجتمع نفسه في تلك الجهود. فبدون مساهمة الجهود الأهلية التطوعية في وقتنا الحاضر يصعب مواجهة مشاكلنا الإجتماعية. فالدولة مهما كانت أمكاناتها المادية والبشرية لايمكنها القيام بكل شيء بدون إتاحة الفرصة أمام الجمعيان الخيرية والجماهيرية للمشاركة الشعبية في العمل الإجتماعي التطوعي لتحقيق أهداف السياسة الإجتماعية.

وإيمانا منا بأهمية الجهود التطوعية في وقتنا الحاضر ودور المشاركة الشعبية في تحقيق خطط التنمية الإجتماعية، نقدم مقترحنا لتطوير هذا العمل. ويشمل هذا المقترح جانبين :-

الجانب الأول:- يتضمن التنسيق والعلاقة بين الهيئات الأهلية والحكومية.

الجانب الثاني:- يتضمن تنظيم الجهود التطوعية.

الجانب الأول:- تنسيق العلاقة بين الهيئات الأهلية والحكومية.

لقد أصبح واضحا أن النشاط الأهلي يعد ضرورة مجتمعية لكل المجتمعات، ويعد قيام المواطنين بإنشاء الهيئات الأهلية وإدارتها ليس مجرد التزام للتعبير عن الأنتماء للمجتمع ورد بعض الدين اليه ولكنه في الوقت نفسه يعد حقا يتمتع به كافة المواطنين للمساهمة في تخطيط برامج الحياة الإجتماعية في المجتمع.

وقد يظن البعض أن الحاجة الى اجهود الأهلية التطوعية خاصة فقط بالمجتمعات النامية أو المتخلفة ولكن هذه النظرة قاصرة لأن لم تكن خاطئة. لأن واقع الأمر يؤكد لنا أن النشاط الحكومي والأهلي سارا جنبا الى جنب في كافة المجتمعات. ولكن صورة العلاقة بين النشاط الأهلي والحكومي تختلف من مجتمع لأخر لعدة أسباب [٢٥]:- قدرة الجهاز الحكومي في تلبية وإشباع احتياجات المجتمع وكذلك الأيدلوجية السياسية التي يقوم عليها المجتمع وفلسفة الرعاية الإجتماعية وأولياتها في كل مجتمع على حدة.

أن تنسيق العلاقة بين الهيئات الأهلية والحكومية يقوم على نظريتين [٢٦]:-

النظرية الأولى:- نظرية السلم التكاملي:- وتتركز هذه النظرية على أساس الأجهزة الحكومية تضمن للمواطنين حد أدنى للخدمات ومنها الرعاية الإجتماعية والضمان الإجتماعي والخدمات التعليمية والصحية وغيرها وفي حالة عدم أمكان الهيئات الحكومية مقابلة كل الإحتياجات فأن المنظمات الأهلية تكمل مثل هذه الخدمات بل تتوسع فيها.

النظرية الثانية:- نظرية الأعمدة المتوازنة:- وتقوم أساسا على قيام كل الأجهزة الحكومية والأهلية معا في نتفيذ الخدمات في كافة الميادين.

ونحن من جانبنا نؤيد النظرية الأولى وتعتقد بضرورة تدخا الدولة في قيام بعض المشاريع الإجتماعية والتي تتطلب أمكانات مادية وبشرية عالية قد لاتستطيع الهيئات الأهلية القيام بها ولكن في نفس الوقت على الدولة القيام بتشجيع الجهود الأهلية وتنميتها وخصوصا في ظرفنا الحالي فالجهود الحكومية عاجزة لوحدها من أشباع كافة الإحتياجات ما لم تتظافر معها الجهود التطوعية الأهلية لكي يشعر الأفراد في المجتمع أنه مثلما لهم حقوق على الدولة عليهم واجبات القيام بها.

الجانب الثاني:- وبعد هذا العرض. كيف يمكننا تنظيم الجهود التطوعية وأستمرارها وتوجيهها للقيام بمسؤوليتها في ميادين العمل الإجتماعي لمساعدة الحكومة في جهودها لتحقيق تنمية شاملة وسريعة في واقع المجتمع العراقي وتحقيق هذا الهدف نقترح ما يأتي:-

١ - تشريع قانون خاص بتأسيس الجمعيات الخاصة بالعمل الإجتماعي التطوعي لغرض تنظيم أعمالها وتوجيه أنشطتها وتنسيق برامجها ويحدد كيفية تمويلها والعضوية فيها.

٢ - تشجيع قيام الجمعيات والمؤسسات التطوعية في كافة أنحاء القطر سواء في المجتمع الريفي او المجتمع الحضري دون أقتصارها على بعض المدن الكبرى الرئيسية.

٣ - تنظيم مكاتب للتطوع في كل مدينة وقرية لتنظيم الجهود التطوعية وتسجيل المتطوعين في ميادين العمل الإجتماعي وتنظيم بطاقات شخصية لهم تشمل (الأسم، العمر، المستوى الدراسي، الميدان المطلوب التطوع فيه، الوقت الذي يمكن أن يعطيه للعمل الإجتماعي دائمي أو موسمي.....الخ).

ويشرف على مكاتب تنظيم المتطوعين الأتحادات المهنية كالأتحاد العام لشباب العراق والإتحاد الوطني لطلبة العراق والإتحاد العام لنساء العراق فضلا عن المنظمات الحزبية في المناطق المختلفة.

٤ - تدريب المتطوعين كلا حسب الميدان الذي يرغب التطوع فيه ويفضل أن يشرف على هذا التدريب مؤسسات متخصصة كوزارة العمل والشؤون الإجتماعية وأقسام علم الإجتماع والخدمة الإجتماعية في الجامعات العراقية.

٥ - ولما للحوافز من أهمية في أي مجال من مجالات العمل الإجتماعي وأعتزازا بأهمية الأعمال والجهود التي يبذلها المتطوعون. يفضل وضع نظام خاص للحوافز يتمثل في منح المتميزين من المتطوعين أوسمة وأنواط خاصة وإيفادهم ببعثات داخلية وخارجية فضلا عن دعوتهم في بعض المؤتمرات والندوات الخاصة بالعمل الإجتماعي.

٦ - مؤازرة حركة التطوع وتشجيعها من قبل أجهزة الإعلام المسموعة والمقروئة والمرئية منها بهدف تكوين رأي عام حولها والإعتراف بها كحركة قومية في ميادين العمل الإجتماعي والخدمة الإجتماعية.

المراجع:

(١) د. محمد مصطفى حبشي: دور الجهود التطوعية أثناء الحرب وبعدها. بحث مقدم الى الندوة العلمية الأولى لقسم الخدمة الإجتماعية والموسومة (الخدمة الإجتماعية بعد الحرب) للفترة ٥ ـ ٦ /٥/١٩٩٠ كلية الآداب/ جامعة الموصل، ص١.

(٢) د. باقر سلمان النجار: العمل الإجتماعي التطوعي في الدول العربية الخليجية سلسلة الدراسات الإجتماعية والعمالية (١١) مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الإجتماعية بالدول العربية الخليجية، المنامة ١٩٨٨ ط١، ص٧.

كذلك أنظر: عبد المنعم هاشم وآخرون. العمل مع الجماعات، دار الحمامي للطباعة. القاهرة ط٢ ـ ١٩٦٠ ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٣) د. باقر سلمان النجار: مصدر سابق، ص٧ ـ ٨.

(٤) د. عبد المنعم شوقي ، تنمية المجتمع وتنظيمه، دار البحوث العلمية، القاهرة، ط٣ ١٩٧٣، ص١٨١.

(٥) نفس المصدر، ص١٨٢.

(٦) د. باقر سلمان النجار: مصدر سابق، ص١٣.

(٧) د. عادل عبد الحسين شكارة، نظرية هوبهاوس في التنمية الإجتماعية، مطبعة دار السلام، بغداد ، ط١، ١٩٧٥ ص٧٣٤.

(٨) د. غريب محمد سيد أحمد : علم الإجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٨٤، ص٢٢١.

(٩) نفس المصدر السابق، ص٢٢٥ ـ ٢٢٧.

(١٠) سميرة كامل محمد: التنمية الإجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، ١٩٨٤ ص١٣٣ ـ ١٣٤.

(١١) جلال زكي: التعاون من أجل القضاء على مشاكلنا الإجتماعية، القاهرة، ١٩٦٤،ص٥.

(١٢) نقولا الحداد، علم الإجتماع، الجزء الأول، القاهرة ص١٤ ـ ١٥.

(١٣) القرآن الكريم: آية ٢، سورة المائدة.

(١٤) د. أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، مكتبة لبنان ـ بيروت، ١٩٨٢، ص٨٦.

(١٥) ديتكن ميشيل: معجم علم الإجتماع، ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن.

دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٧٧.

(١٦) أندرو ويستر: مدخل لوسيولوجية التنمية، ترجمة حمدي حميد يوسف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط١، ١٩٨٦، ص٦١ ـ ٦٣.

(١٧) د. بيرس كوهن: النظرية الإجتماعية الحديثة، ترجمة الدكتور عادل مختار، سلسلة علم الإجتماع والتنمية، الكتاب الثاني، دار فينوس للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٠ ،ص١٨٣ ـ ١٨٧.

(١٨) د. نبيل السمالوطي: علم اجتماع التنمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الأسكندرية ١٩٧٨، ط٢، ص٣٥١.

(١٩) نفس المصدر، ص٣٥٢.

(٢٠) جنان صديق العمري: نحو برامج موجهة للعمل الإجتماعي مع المتسبين، دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي، سلسلة الدراسات الإجتماعية والعمالية (٥) مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الإجتماعية بالدول العربية الخليجية، المنامة - البحرين، ١٩٨٥ ص٣٨٣ - ٣٨٥.

(٢١) كريم محمد حمزة: أوضاع مؤسسات الرعاية الإجتماعية ودورها في خدمة المجتمع العربي الخليجي ، سلسلة الدراسات الإجتماعية العمالية(١) المنامة - البحرين، ١٩٨٣، ص٤٣.

(٢٢) د. باقر سلمان النجار: مصدر سابق، ص١٦.

(٢٣) د. نجم عبود نجم: السياسة الإجتماعية في العراق، وزارة العمل والشؤون الأجتماعية، المركز القومي للبحوث الإجتماعية والثقافية، بغداد ١٩٨٦، ص٥٠ - ٥١.

(٢٤) أعتمدت في تصنيف هذا على البيانات التي جدول رقم ٢٢ من كتاب د. باقر النجار - مصدر سابق، ص٨٣ - ٨٧.

* حسب معلوماتنا الشخصية أن كثيرا من هذه الجمعيات متوقف عن العمل وليس لها أية نشاط يذكر.

(٢٥) د. سامية محمد فهمي: الإدارة في المؤسسات الإجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية ١٩٨٦، ص٢٤٩ - ٢٥٠.

(٢٦) نفس المصدر، ص٢٥٧ - ٢٥٨.